

بسم الله الرحمن الرحيم

عاشوراء ... دروس وعبر

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد ؛

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ ؟) .
فَقَالُوا : هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ ، أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا ؛ فَتَحْنُ نَصُومُهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَتَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ) ؛ فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ . رواه البخاري (3943)، ومسلم (1130) واللفظ له .
هذا الحديث أصل عند العلماء في استحباب صوم يوم عاشوراء ، وهو العاشر من محرم ، وهو يوافق يوم الاثنين القادم .

فهو يومٌ عظيمٌ ، أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه ؛ ولذا صامه موسى عليه السلام شكرًا لله تعالى على هذه النعمة .

وصامه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه استحبابًا ؛ متابعةً لنبيِّ الله موسى عليه السلام ، من باب مقابلة النعم بالشكر في أوقات تجددها . لطائف المعارف لابن رجب ص 96 .

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما وقد سُئِلَ عن صيام يوم عاشوراء : " مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَ يَوْمًا يَطْلُبُ فَضْلَهُ عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ ، وَلَا شَهْرًا إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ " يَعْنِي : رَمَضَانَ . رواه مسلم (1132) .

وفي رواية البخاري : " مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضْلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَهَذَا الشَّهْرَ " يَعْنِي : شَهْرَ رَمَضَانَ . رواه البخاري (2006) .

فهذا يوم فارق في تاريخ البشرية ؛ إنه اليوم الذي نجى الله تعالى فيه موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين .

= من الدروس والعبر والمعاني الإيمانية المستفادة من هذا اليوم العظيم :

– أَنَّ شَأْنَ الْمُؤْمِنِ دَائِمًا الْإِهْتِمَامُ بِالْعِبَادَاتِ والسؤال عنها ، وفعل بالخير والحرص عليها .
فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما هاجر إلى المدينة وجد اليهود صائمين ، فسأل عن سبب صيامهم : (مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ ؟) .

والإنسان إذا ذهب إلى مكان جديد يلفتُ نظره ما يشغل قلبه ويهتم به .

وشتان بين اهتمامات الناس !

فمن الناس مَنْ إذا دخل مدينةً ؛ لفتَ نظره مبانيها الشاهقة وسيارتها الفارحة .
ومنهم مَنْ يلفت نظره زحامُ الناس أو نظامهم ، أو غير ذلك .

لكن المؤمن يهتم بالعبادات ، وما يتعلق بها ؛ فهي التي تلفت نظره وتشغل قلبه .

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ *** وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا *** وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

– ومن المعاني الإيمانية : التذكير بأيام الله ، وما صنع الله فيها من الآيات ، وما حدث فيها من العبر والعظات ؛ لتكون نبراساً للمؤمنين في كل زمان ومكان .

فيوم عاشوراء " يَوْمٌ عَظِيمٌ " ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ) . رواه البخاري (1893) ، ومسلم (1892) .

وقد أمر الله تعالى بالتذكير بما في أَيَّامِ اللَّهِ من العبر والعظات : (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) .

وقد حدثت فيه آية من آيات الله حيث أنجى نبيه ، وأهلك عدوه .

يقول الله عز وجل : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ

الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) :

ما أعظم تأييد الله وانتصاره لأوليائه من رسله وأنبيائه وعباده المؤمنين !

وما أشد انتقامه من أعدائه المكذبين على قوتهم وشدة بطشهم !

قال الله تعالى عن فرعون : (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) .

(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) .

ها هو فرعون يغرق ويحيط به الغرق من كل مكان ، وهو الذي طغى وتجبر وادعى الألوهية فقال : (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) ، (فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) .

وتفاخر بما لا يساوي قطرة في ملك الله تعالى : (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) !

ناسياً أَنَّ الْمُلْكَ كُلَّهُ لِلَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَعْطَاهُ ، وَأُطْعِمَهُ وَسَقَاهُ !

رُوي أَنَّ خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ هَارُونَ الرَّشِيدَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) ، ورأى تفاخر فرعون بملك مصر ؛ قال : " لعنه الله ! ما كان أرقعه إلي :

ما أَشَدَّ خِفَةَ عَقْلِهِ ! ادَّعى الرُّبُوبِيَّةَ بِمُلْكِ مِصْرَ ؟! وَاللَّهِ ؛ لأُولِيِّهَا أَحْسَنُ خَدَمِي " ؛ فولَّى حُكْمَ مِصْرَ خَادِمًا لَهُ

اسمه : الخصيب ، كان يصبُّ له الماء عند الوضوء ! وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ لابن خُلَّكَانَ (188/1)، وفتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان (361/12) .

- ومن الدروس المستفادة : معية الله تعالى لأنبيائه وأوليائه :

فلما خرج موسى عليه السلام مُنفِذًا أمر ربه ، متجهاً ناحية الشرق ؛ أمر فرعون بجمع كل الجنود ، وفي الوقت نفسه يُهَوِّنُ ، وَيُحَقِّرُ من شأن بني إسرائيل كعادة أهل الباطل في كل زمان : (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) .

جمع فرعون جنوده ، وطارد المؤمنين في ناحية الشرق (فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) .

وصل موسى إلى ساحل البحر الأحمر وخلفه فرعون وجنوه . فلما تراءى الجمعان صرخ ضعاف الإيمان (إِنَّا لَمُدْرِكُونَ) ، فرد عليهم موسى بقوة الإيمان : (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) .

- ونجى الله تعالى (بني إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عالياً من المُسْرِفِينَ) .

- ونجّاهم من الغرق ، وأغرق فرعون وجنده : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِنَدْنِكَ لِنُكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) .

- إن قصة موسى عليه السلام مع فرعون مليئة بالعبر والعظات ؛ ولذا كثر ورودها في القرآن الكريم حتى قال بعض العلماء : " كاد القرآن أن يكون كله لموسى " . الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (199/1).

فينبغي علينا أن نعتبر بآيات الله ؛ فإن فيه عبراً مقنعة للمؤمنين : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) ، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) .

وأما الجاحد والمعانِد فلا يقنعه شيء : (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) .

- ومن المعاني الإيمانية : نصر الله لأنبيائه وأوليائه ، وإهلاكه لأعدائه :

لمّا سأل النبي اليهود عن صومهم هذا اليوم قالوا : " هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ " . رواه البخاري (2004) ، ومسلم (1130) ، واللفظ له .

وهذه حقيقة يقينية ، قال تعالى : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) ، وقال : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) .

حتى لو تأخر النصر قليلاً فإنه قادم ، فالحق بطيء ولكنه يوماً يجيء ، كما في حديث هرقل حين قال لأبي سفيان : " سَأَلْتُكَ كَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّ الْحَرْبَ سَجَالٌ وَدُولٌ ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ " . رواه البخاري (7) ، ومسلم (1773) .

وإهلاك الله للظالمين سنة كونية ؛ قال تعالى : (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَالْيَاقِينِ) .

- ومن الدروس والعبر : أن المسلمين أحق بجميع الأنبياء من كل الأمم :

فقد صامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأمر المسلمين بصيامه ؛ معللاً ذلك بقوله : (فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ) . فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ . رواه البخاري (2004) ، ومسلم (1130) . وهذا كقول الله تعالى : (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) .

" فُلْحَقُ النَّاسِ بِمَتَابَعَةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ : الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ عَلَى دِينِهِ ، (وَهَذَا النَّبِيُّ) يعني : مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، (وَالَّذِينَ آمَنُوا) : من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن بعدهم " . تفسير ابن كثير (58/2) . فكَذَلِكَ أَحَقُّ النَّاسِ بِمَتَابَعَةِ مُوسَى وَأَوْلَاهُمْ بِهِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ دِينُ مُوسَى وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ؛ فَالْمُسْلِمُونَ لَمْ يَحْرَفُوا وَلَمْ يَبْدِلُوا وَلَمْ يَغَيِّرُوا كَمَا فَعَلَ الْيَهُودُ .

وَالْمُسْلِمُونَ يُؤْمِنُونَ بِمُوسَى وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) .

وفي هذا لفظة مهمة إلى هذا الرباط العميق بين المسلمين بعضهم البعض ، وإن اختلفت أزمانهم وبعُدت أماكنهم ، وضرورة تحقيق الأخوة الإيمانية بين المسلمين ، وتحقيق الولاء لله تعالى ورسوله وعباده المؤمنين ، التي من أهم مقتضياتها :

إمداد المسلمين لإخوانهم ، وخاصة المحتاجين والمكروبين والمحصورين منهم ، في الداخل والخارج ، أفرادًا وجماعاتٍ ، ونصرتهم ، ودعمهم ، والتضامن معهم ، ومواساتهم .

- ومنها : مخالفة المشركين ، واستقلال الأمة الإسلامية في عقيدتها ، وصيغتها :

فقد تعمّد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخالفة اليهود في صيام عاشوراء .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ النَّاسِعَ) .

قَالَ : فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُؤْفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه مسلم (1134) .

وفي رواية : (لَنْ يَبْقِيَ إِلَى قَابِلٍ [السنة الآتية] لِأَصُومَنَّ النَّاسِعَ) . رواه مسلم (1134) .

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِمُخَالَفَةِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى فِي أَدَقِّ الْأُمُورِ ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (خَالِفُوا الْيَهُودَ ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلَا خِفَافِهِمْ) . رواه أبو داود (652) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3210) .

ونهي نهياً شديداً عن التشبه بهم ، فقال : (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) . رواه أبو داود (4031) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (6149) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الْمُشَابَهَةَ فِي بَعْضِ الظَّاهِرِ يُوجِبُ الْمُقَارَبَةَ ، وَنَوْعًا مِنَ الْمُنَاسَبَةِ ، يُفْضِي إِلَى الْمَشَارَكَةِ فِي خَصَائِصِهِمُ الَّتِي انْفَرَدُوا بِهَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَرَبِ ، وَذَلِكَ يَجْرُ إِلَى فَسَادٍ عَرِيضٍ " . الفتاوى الكبرى (175/6) .

- ومن الدروس أيضًا : تشابه قلوب المؤمنين عبر الأزمان ؛ إذ تجتمع على الإيمان بالله ورُسُلِهِ ، وتعظيم أيام الله ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) .

وكذلك تتشابه قلوب الكافرين عبر الأزمان ، فتجتمع على تكذيب آيات الله ، ومُعاداة رسول الله : (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ، (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ * اتَّوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) .

- ومنها : الفرح بنجاة المؤمنين وما يصيبهم من الخير والرخاء والنصر ، والفرح بهلاك الظالمين :
قال تعالى : (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ) ، (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) .

وقال تعالى : (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .
وقد شتم رجلٌ ابنَ عَبَّاسٍ ، فقال ابنُ عَبَّاسٍ : " إِنَّكَ لَتَشْتُمُنِي ، وَفِي ثَلَاثِ خِصَالٍ ، إِنِّي لَأَتِي عَلَى الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَوَدِدْتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ مِنْهَا .
وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ ، فَأَفْرَحُ بِهِ ، وَلِعَلِّي لَا أَقَاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا .
وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْغَنِيِّ قَدْ أَصَابَ الْبَلَدَ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَفْرَحُ ، وَمَالِي بِهِ مِنْ سَائِمَةٍ " . رواه الطبراني في المعجم الكبير (266/10) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .
أما بعد؛

= إنَّ عاشوراء يوم عظيم حقًا :

ولكن هناك تعظيم حقيقي لهذا اليوم ، وهناك تعظيم مُزَيَّف .

فمن التعظيم الحقيقي : صيامه :

فقد عظمه موسى عليه السلام ؛ فصامه ، شكرًا لله على نعمة النجاة وإهلاك العدو .
وصامه اليهود تبعًا لموسى : قالوا : " فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا ؛ فَتَحْنُ نَصُومُهُ " . مسلم (1130) .
- وكان أهل الجاهلية يعظمونه : فكانوا يصومونه : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . رواه البخاري (1893) ، ومسلم (1125) .
ومن تعظيمهم له أنهم كانوا يسترون فيه الكعبة : قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : " كَانَ يَوْمًا تُسْتَرُّ فِيهِ الْكَعْبَةُ " . رواه البخاري (1592) ، ومسلم (1125) .

وعظمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فصامه ، وأمر المسلمين بصيامه . رواه البخاري (2004) ، ومسلم (1130) .

وكان صيامه مفروضاً ثم نُسخَ : قالت عائشة رضي الله عنها : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِصِيَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ .

فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ ؛ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ) . رواه البخاري (1592) ، ومسلم (1125)

ولكن استحباب صيام عاشوراء ما زال باقياً :

خطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بالمدينة يوم عاشوراء ، فقال : أَيَنْ عُلَمَاؤُكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ؟

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِهَذَا الْيَوْمِ ، (هَذَا يَوْمُ عَاشُورَاءَ ، وَلَمْ يَكُنْبِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، وَأَنَا صَائِمٌ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفْطِرَ فَلْيُفْطِرْ) . رواه البخاري (2003) ، ومسلم (1129).

ومن فضل صيامه : أنه يكفر ذنوب سنة ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ) . رواه مسلم (1162) .

قال الإمام البيهقي رحمه الله : " وهذا فيمن صادقه صومه وله سيئات يحتاج إلى ما يكفرها ، فإن صادقه صومه وقد كُفِّرَتْ سيئاته بغيره ؛ انقلبت زيادة في درجاته " . فضائل الأوقات ص 438 .

ويُسَنُّ صِيَامُ التَّاسِعِ أَيْضًا : فَحِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ) .

قَالَ : فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ ، حَتَّى تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه مسلم (1134) .

فقد صام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العاشر ، وعزم على صيام التاسع ، فمن الأفضل صيام التاسع والعاشر .

وصوم عاشوراء عند العلماء على ثلاث مراتب :

أكملها : صيام ثلاثة أيام ، التاسع والعاشر والحادي عشر ؛ وقد جاء في ذلك حديث ضعيف ، لفظه : (صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَخَالِفُوا فِيهِ الْيَهُودَ ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا) .

وفي رواية للبيهقي : (صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا وَبَعْدَهُ يَوْمًا) . رواه الإمام أحمد (2154) ، والبيهقي في السنن الكبرى (287/4) ، وهو في الضعيفة (4297) ، وضعفه الأرناؤوط أيضاً (52/4) ، لكن حسن إسناده الشيخ أحمد شاكر .

لكن وردَ فعلُ ذلك عن بعض السلف من باب الاحتياط . لطائف المعارف ص 52 .

والثاني : أن يُصام التاسع والعاشر . وعليه أكثر الأحاديث ، وهو الذي وردت به السنة .

ويُشرع أيضاً صيام العاشر مع الحادي عشر بدلاً من التاسع والعاشر أو لمن فاتته صيام التاسع ؛ مخالفةً لليهود : (صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا) .

والثالث : إفراد عاشوراء بالصَّيام وحده . زاد المعاد لابن القيم (72/2) ، وفتح الباري لابن حجر (246/4).

– وأما التعظيم المُزَيَّف ليوم عاشوراء :

فمنه : ما يفعله بعضُ أهل البدع [الشيعية] بأنفسهم في عاشوراء ، من اتِّخاذ هذا اليوم مأتمًا ويومَ حُزنٍ ونياحة ولطمٍ وشقٍّ للجيوب والثياب ، وتعذيب أنفسهم بالآلات الحادة ، والضرب بالسلاسل والحديد ، بما يُسمُّونه : " اللطمية " و " التطبير " ، وخالط هذا بسبِّ الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ودُعاء الحسين من دون الله ؛ كلُّ هذا لأجل مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في هذا اليوم ! وهذا من أعمال الجاهلية ، ففي الحديث : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ) . رواه البخاري (1294) ، ومسلم (103) .

والمؤمن عند المصيبة يصبر ويحتسب ويرضى بقضاء الله تعالى .

وعلى العكس من ذلك : هناك مَنْ يقيم الحفلات في يوم عاشوراء ، يصنع الحلوى ، بل هناك نوع من الحلوى تُصنع خصيصًا لهذا اليوم تصنع من الأرز واللبن ، تسمى " عاشوراء " ، ومنهم من يصنع "قطيرة عاشوراء " ، وهذا تشبُّه باليهود والنصارى لتعظيمهم هذا اليوم .

وهكذا اجتالهم الشياطين عن هدي النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ، وعن سبيل المؤمنين في هذا اليوم العظيم ، فمنهم مَنْ حوَّله إلى مأتم وعزاء ، ومنهم مَنْ حوَّله إلى احتفال وغناء .

وكلُّ هذا من البدع المُحدثات التي حذر منها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حيث قال : (وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) . رواه أبو داود (4607) ، والترمذي (2976) ، وابن ماجه (44)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (150/8) .

نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا إلى اتباع سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يجنِّبنا البدع ، إنه سميع قريب مجيب .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عَنَّا سيئاتنا ، وتوفِّنا مع الأبرار .

اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين .

وارْحَمْ موتانا وموتى المسلمين .

واقضِ الدينَ عن المدينين .

وفرِّجْ كرب المكروبين .

وانصُرْ إخواننا المستضعفين .

اللهم انصُرْ الإسلام وأعزِّ المسلمين .

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .